

إشكالات وتحديات السرد التفاعلي الجزائري

-تجربة حمزة قريرة أنموذجاً-

Problems and challenges of Algerian interactive narrative -Hamza Grira experience as a model-

سليمة حديبي^{1*}، المركز الجامعي بركة، الجزائر salima.hadibi@cu-barika.dz

مخبر الشعرية الجزائرية جامعة المسيلة

فاطمة الزهراء عطية²، المركز الجامعي بركة، الجزائر fatima.attia@cu-barika.dz

مخبر الشعرية الجزائرية جامعة المسيلة

تاريخ قبول المقال: 27-11-2024

تاريخ إرسال المقال: 05-08-2024

الملخص:

يعدّ السرد التفاعلي تجربة مبتكرة ومثيرة، تجمع بين العناصر الأدبية والتكنولوجيا التي تستخدم التقنية الرقمية والتفاعل القائم على الحركة والواقع الافتراضي كأدوات لتوفير تجارب سرد تفاعلية، وقد عرف اهتماما واسعا في العالم الغربي بينما في العالم العربي خاصة الجزائر مازال يشهد شحاً في الأعمال الإبداعية والنقدية ولعل هذا الاحتشام يُعزى إلى مجموع الإشكالات والتحديات التي واجهت المبدع والمتلقي والناقد، عطفاً على العوائق التقنية والبرمجية، وهذا ما سيقف عليه المقال للبحث في أسباب عدم ذبوعه في الجزائر وذلك من خلال تجربة حمزة قريرة مدونة (الأدب والفن التفاعلي)، للوصول إلى نتائج قد تجنب السرد التفاعلي هاته الإشكالات والتحديات مستقبلاً.

الكلمات المفتاحية: إشكالات، سرد تفاعلي، الجزائر، حمزة قريرة.

Abstract: Interactive narration is an innovative and exciting experience, combining literary elements and technology that uses digital technology, movement-based interaction, and virtual reality as tools to provide interactive narrative experiences and has known wide interest in the Western world while in the Arab world in particular, Algeria is still witnessing a scarcity of creative and critical works and perhaps this modesty is attributed to the total problems and challenges faced by the creator, recipient, and critic, in addition to the technical and programming obstacles, and this is what the article will stand on to research the reasons for its lack of popularity in Algeria Through the experience of Hamza Grira blog (literature and interactive art), to reach results that interactive narrative may avoid these problems and challenges in the future.

Key words : Problems, Interactive narration, Algeria, Hamza Grira.

* سليمة حديبي

مقدمة:

الأدب التفاعلي ظهر كنتيجة حتمية للثورة الرقمية على الصعيد الأدبي، فهو يجمع بين فنية وتخيل الأدب وعلمية التكنولوجيا بتقنياتها ورقميتها، فأضحى إبداعا هجيناً يجمع العلامات اللغوية والبصرية والسمعية (كالصوت الصورة، الفيديوها، والموسيقى)، وفق نسق إيجابي يتيح إمكانيات تشجع الأدباء على صقل خيالاتهم وتطويع جميع معطيات النص المتاحة وإمكانياته اللامحدودة؛ للوصول إلى المتلقي الذي فُتح له المجال حتى يتفاعل مع العملية الإبداعية ويضع بصمته عليها.

ومن بين مؤسسي هذا الفن الأدبي تنظيراً وإجراءً في الوطن العربي (حمزة قريرة)، الذي يعد نموذجاً للتجربة الأدبية التفاعلية الجزائرية من خلال إصداره مدونة (الأدب والفن التفاعلي)، التي ضمت نصوصاً أدبية تفاعلية مختلفة الأنواع والأشكال ومتعددة الأنماط.

ولاجرم في أن من أنماط الأدب التفاعلي ما يسمى بالسرد التفاعلي، وهو الذي يركز على مجموعة من المقومات نحو: الشخصيات، الزمان، المكان، الراوي، الحبكة التشويقية وغيرها مع اقترانها بالتكنولوجيا، الأمر الذي جعل السرد التفاعلي يحظى بعدة جماليات منها: (تعدد الروابط الذي أفضى إلى تنوع النصوص، توظيف الوسائط الرقمية، إشراك المتلقي في إنتاج النص)، لكنه في مقابل ذلك واجه مجموعة من الإشكالات والتحديات التي طال الجدل فيها ووقفت دون شيوعه وتقبله لدى المتلقين، كونه جمع بين النص السردي والتكنولوجيا، منها ما يتعلق بالمصطلح وأخرى بالمبدع والمتلقي بمختلف تصنيفاته ومنها ما يرتبط بالوسيط التكنولوجي.

فكان الهدف من هاته الدراسة: الكشف عن أهم الإشكالات والتحديات التي واجهت السرد التفاعلي والوقوف على أسبابها، غرض إصلاحها لارتقاء بهذا الوليد الحديث في الجزائر ليواكب نظيره في البلدان الغربية.

وتبلورت هاته الدراسة حول إشكالية رئيسة مفادها:

- ما أهم إشكالات وتحديات السرد التفاعلي الجزائري في ضوء تجربة حمزة قريرة؟

وتولّد عنها سؤال فرعي موجزه:

- وما أثرها على الأعمال الإبداعية والنقدية الجزائرية؟

واعتمدت هاته الدراسة على المنهج الوصفي مع الاستعانة بألية التحليل.

المبحث الأول: فوضى مصطلحات ومفاهيم الأدب الرقمي التفاعلي

نتيجة التزاوج الحاصل بين الأدب والتكنولوجيا نشأ الأدب الرقمي التفاعلي، الذي تباين النقاد والمنظرون والدارسون في تسميته كلّ حسب رؤيته ومنطلقاته الفكرية والإيديولوجية أو حسب بلده، فحدث

ما سمّاه جميل حمداوي بفوضى المصطلحات، حيث اتجه الفرنكفونيون إلى تسميته بالأدب الرقمي (Digital Literature) والإلكتروني (Electronic literature)، بينما في الثقافة الأنجلوسكسونية (الساحة الأدبية والإعلامية والفنية الأمريكية) فيعرف بالنص المترابط أو المتشعب (Hypertext)، وذهب الفرنسيون إلى الاصطلاح عليه بالأدب المعلوماتي أو الإعلامي (Informatics literature). ثم انتقل هذا الاضطراب إلى الساحة الفكرية العربية، وأصبح الإشكال يتعلق بتعدد آليات نقل وترجمة الأبعاد الدلالية لمصطلح الأدب الرقمي في اللغات الأجنبية إلى ما يقابلها في اللغة العربية، وفيما سيأتي محاولة لجمع أهم المفاهيم والمصطلحات الأكثر تداولاً لتسمية هذا الجنس الأدبي والتي من بينها:

المطلب الأول: الأدب الرقمي (Digital Literature)

أي؛ رقمنة النصوص، حيث «يسمى أدبا رقميا كل شكل سردي أو شعري يستعمل الجهاز المعلوماتي وسيطا ويوظف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط»¹، فهو أدب خاضع للبرمجة الإعلامية بمعطيات رياضية ومنطقية تجمع بين الأرقام والحروف، وتحفظ بياناته بصيغة (1/0) التي تشكل النصوص وتحولها إلى معطيات رقمية حتى يُمكن عرضها على الشاشة، فيستفيد منها المتلقي لكن لا يمكنه التفاعل معها ضمن مسارات تفاعلية كما يشترط فيها أن تقدم عن طريق الوسيط الإلكتروني إنتاجا وتلقيا.

المطلب الثاني: الأدب التفاعلي (Interactive literature)

هو «الأدب الذي يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والإلكترونية ولا يمكن أن يتأتى إلا عبر الوسيط الإلكتروني؛ أي من خلال الشاشة الزرقاء، ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص»².

فالأدب التفاعلي يُؤسس على علاقة قائمة بين النص والمتلقي والوسيط الرقمي، التي تحكمها الروابط التشعبية حيث يمكن للمتلقي التنقل بين النص والصور والصوت وفق تقنية النص المفرع الإيجابي (Hypertext)، مما يسمح له «بالخروج عن البعد اللغوي مستثمرا كل الطاقات التعبيرية والرمزية في العلامات غير اللغوية كالصور والأصوات والألوان وغيرها، مما تتيحه الوسائل الرقمية كمساند للنص

¹-بوتر فيليب وآخرون، ما الأدب الرقمي، ترجمة: أسليم محمد، مجلة علامات، المغرب، العدد 35، 2011م، ص103.

²-البريكي فاطمة، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغربية، المغرب، 2006م، ص49.

اللغوي وأحيانا كعنصر رئيس في النص/العرض المقدم خصوصا مع الأجناس التصويرية كالرواية والمسرحية، وبهذا فالأدب التفاعلي هو في جوهره أدب لكنه متحد مع التقنية الرقمية»¹.
 ذلك التفاعل يحدث على صفحة النص بتبادل التفاعلات والملاحظات والانتقادات والتعليقات المختلفة، بطريقة مباشرة بين الأديب والمتلقي التفاعلي أو غير مباشرة بوجود طرف واحد، «فهو ذلك الأدب الذي يهتم بالعلاقة التفاعلية التي تنشأ بين الراصد والنص على مستوى التصفح والتلقي والتقبل، وتخضع هذه العلاقة لمجموعة من العناصر التفاعلية الأساسية هي: النص، والصوت، والصورة، والحركة، والمتلقي، والحاسوب، مع التشديد على العلاقة التفاعلية الداخلية (العلاقة بين الروابط النصية)، والعلاقة التفاعلية الخارجية (الجمع بين المبدع والمتلقي) أي أن الأدب التفاعلي هو الذي يجمع بين نشاط الكاتب أو السارد ونشاط المتلقي معا»².

المطلب الثالث: الأدب الإلكتروني (Electronic literature)

هو أدب يُنشر عن طريق البرامج اللوغاريتمية لكن دون إضافة مؤثرات (كالصور، والصوت، والحركة...) على القالب الأصلي للنص، «فالنص يمكن أن يقدم من خلال الجهاز الجديد الحاسوب، ويحافظ على كل مقوماته النصية التي لا تتأثر بالوسيط إلا من خلال الفارق الحاصل بين الورقي والإلكتروني أو الرقمي، إذ بدل الصفحات نجد أنفسنا أمام شاشة الحاسوب»³، فهو يهتم بالنص وشكله الجديد مع إضافة المعلومات التكنولوجية عليه (الوحدة المركزية، العتاد المستخدم لهاته التقنية المعلوماتية، وأسلوب النشر الشاشوي).

المطلب الرابع: النص المترابط أو المتشعب (Hypertext)

هو نص مفرع يستخدم ضمن الأدب التفاعلي حيث يعتمد على تقنية الربط والتشعب بينه وبين نصوص أخرى غيره؛ أي أن «النص الأدبي يتربط مع مجموعة من النصوص التفاعلية الأخرى التي تتشكل من مكونات آلية وتقنية وإعلامية وبصرية وصوتية»⁴، فيستطيع المتلقي أن يتحرك فيه على الشكل الذي يريد، فمثلا داخل النص المترابط يضغط على أيقونة (صورة، أو اسم شخص أو سم مكان أو

¹-قريرة حمزة، ما هو الأدب التفاعلي؟ (الأدب التفاعلي المفهوم والأجناس)، الأدب والفن التفاعلي، مارس 2017م، على الرابط:

<https://www.litartint.com/>، تاريخ التصفح: 09، 05، 2024م، على الساعة: 08:30 صباحا.

²-حمداوي جميل، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطية-المستوى النظري)، ط1، 01، الألوكة، 2016م، ص14.

³-يقطين سعيد، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008م، ص24

⁴-حمداوي جميل، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطية-المستوى النظري)، مرجع سابق، ص11.

مسار جديد...)، فتأخذه إلى نص جديد أو صورة جديدة وهكذا، فيحدث الترابط والتشعب بين عدة نصوص سردية داخل نص واحد.

المطلب الخامس: الأدب المعلوماتي (Informatics literature)

الأدب المعلوماتي مصطلح يتضمن كل الأعمال الإبداعية بمختلف فنونها، التي تبث عبر وسيط إلكتروني مستخدما في ذلك المعلوماتية التي توفرها الأنترنت «والفكرة الأساسية وراء هذه الشبكة العالمية هي إتاحة الفرصة أمام أي إنسان (يملك جهاز كمبيوتر) في أي مكان لحصول - وبسرعة فائقة- على أية معلومات (...). وبذلك تتحقق ديمقراطية المعرفة في زمن المعلوماتية»¹، فهو يجمع بين الأدب والحاسوب ومعلومات الشبكة العنكبوتية.

بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه، هناك مجموعة مصطلحات أطلقت على هذا الوليد الحديث، التي لا يسع الحديث عنها في هذا المبحث، ومنها: الأدب الافتراضي (Virtual literature)، النص السيبرنطقي (Cyber text)، الأدب الإعلامي (Media literature) الأدب الهاتفي (Telephone literature)، الأدب الآلي (Instrumental literature)، أدب الصورة أو الديجيتالي (Digital literature)، الأدب الروبوتي (Robotic literature)، الأدب المبرمج (Programmed literature)، الأدب الحاسوبي (Computational literature)، الأدب الويبي (Web literature)، الأدب اللوغاريتمي (Logarithmic literature)، الكتابة الأنترنتية (Internet Writing) الأدب الفايسبوكي (Facebook literature)، وأدب الشاشة (Screen literature)².

رغم كل هذا التباين الحاصل بين النقاد والمنظرين والدارسين في تسمية هذا الأدب الذي يركز على التقنية، إلا أنهم متفقون على أنه ولد من رحم التكنولوجيا الحديثة؛ ذلك لمواكبة مقتضيات العصر. ويمكن صب كل هاته الاصطلاحات في وعاءين مفهومين: الأول الأدب الرقمي أو الإلكتروني، الذي يندرج ضمنه كل المصطلحات التي تتعلق ببرمجيات الجهاز الحاسوبي أو اللوحي أو الهاتفي فيتلقاها المتلقي لكنه يبقى مقيد ولا يمكنه التفاعل معها. أما الثاني الأدب التفاعلي أو النص المترابط/المتشعب، الذي هو جزء من الأدب الرقمي لكن مع وضع مساحة للمتلقي تعادل أو تفوق مساحة نص المبدع ليتفاعل معه، فيصبح مؤلفا آخر لهذا النص السرد التفاعلي إلى جانب المؤلف الأول، هذا الأخير الذي واجه العديد من الإشكالات والتحديات سنأتي على ذكرها.

¹- شبلول فضل أحمد، أدباء الأنترنت أدباء المستقبل، ط2، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1999م، ص23.

²- ينظر، حمداوي جميل، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الواسطية-المستوى النظري)، مرجع سابق، ص9.

المبحث الثاني: إشكالات تواجه المؤلف التفاعلي

المؤلف التفاعلي أحد عناصر العملية الإبداعية بالإضافة إلى النص والمتلقي التفاعلي والوسيط التكنولوجي، فهو أديب يشترط فيه أن يجمع بين مهارة التأليف والكتابة والتخيل، وبين الثقافة المعلوماتية من لغة البرامج الإلكترونية والتقنية الرقمية للنص المترابط عبر نظام منسجم للروابط (links) إلى الوسائط المتعددة، لينتج نواة تخيلية مترابطة تتسم باللاخطية التي لا تتحقق إلا مع المتلقي التفاعلي.

المطلب الأول: جدلية غياب مؤلف السرد التفاعلي في ظل التعددية التشاركية

السرد التفاعلي لا يمكن أن يكون كذلك إلا بوجود ميزة التعلق بين المؤلف التفاعلي الأول للنص والمتلقين التفاعليين داخل هذه العملية الإبداعية، وهذا ما ذهب إليه البنيويون (موت المؤلف) في ظل ارتباطه بتعدد المؤلفين المشاركين في إنتاج هذا النص الذي يُغيب للمؤلف الحق المعنوي لروايته أو قصته أو مسرحيته أو غيرها.

كما يتجه بعض النقاد إلى أن النص إذا ارتبط بالشبكة العنكبوتية، وكانت هناك تعددية في الإنتاج بين المؤلف والمتلقين، فإنه لا يوجد كاتب لهاته العملية الإبداعية بتاتا؛ ذلك لأن النص أصبح ليس ملكا لطرف معين لتداخل الأفكار والتعليقات والاقتراحات والبدائيات والنهايات، مما يخلق عمل سردي إبداعي ليس له مؤلف محدد.

وهذا ما ولد تخوف المتلقي من التفاعل داخل نص غيره ورفض بعض المبدعين إشراك المتلقين في نصهم، وفي هذا الصدد يقول حمزة قريرة: «مازال المتلقي العربي متعثرا في تلقي الأدب الرقمي التفاعلي؛ لأنه مازال يعتقد أن النص ملك لصاحبه؛ يعني لا يمكن للمتلقي العربي أن يتدخل في النص ويخوض فيه ويضيف بعض الوصلات النصية من عنده، إلا بعض التجارب البسيطة من أكاديميين أو بعض الطلبة والباحثين الذين أرادوا أن يجربوا»¹.

المطلب الثاني: إشكالية حقوق ملكية التأليف

أثارت طبيعة حقوق المؤلف التفاعلي جدلا واسعا بين المهتمين بهذا الجنس الأدبي، حيث إن لكل عمل أدبي حقوق مادية وأخرى فكرية أدبية (معنوية)، وبما أن النص التفاعلي يشترك فيه عدة مؤلفين، فإنه تسقط عنه الملكية الفكرية للمؤلف الأصلي وتغيب؛ لأن التفاعلية حلت مكان المبدع، لكن حقوقه

¹ -بيت اللسانيات، محاضرة الأدب والنشر الرقمي في الأدب العربي الدكتور -حمزة قريرة، 04، 20، 2024م، على اليوتيوب عبر الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=ybVUMklhZLQ&t=132s>، تاريخ التصفح: 10، 5، 2024م، على

الساعة: 10:00 صباحا

المادية يبقى محتفظاً بها من خلال اقتناء العمل من طرف المتلقين بدفع رسوم الاشتراك من خلال روابط موجودة على المنصات الرقمية، وفي بعض الأحيان تكون مجانية، مثل مدونة الأدب والفن التفاعلي لحمزة قريرة حيث يمكن للمتلقى الولوج إليها والتفاعل مع أنويتها مباشرة عبر الوسيط الإلكتروني المتصل بالإنترنت.

المطلب الثالث: تحدي المنافسة بين الكتاب الحقيقيين والطفيليين في السرد التفاعلي

المؤلف التفاعلي هو مبدع يمتلك المهارة الأدبية والموهبة الفنية التي تمكنه من إنتاج نص سردي مكتمل البناء حسب جنسه (رواية، مسرحية، قصة...)، فالأديب الحقيقي هو قاص أو مسرحي أو روائي له إلمام كبير وواسع بالفن الذي يبرع فيه، بالإضافة إلى تمكنه من العناصر السردية لكل نوع. لكن في مقابل ذلك تأتي معضلة الكتاب الطفيليين الذين جمعوا بين الكتابة والتقنية، لكن كتاباتهم لا تسمو بمعاييرها الفنية إلى حدّ الأدبية؛ لأنهم لا يملكون مهارات الكتابة السردية، وهدفهم خوض هاته المغامرة أو لغرض تجاري أو هو مبتدئ لا يجيد قواعد الكتابة الأدبية، التي قال عنها عبد الله السفياني: «وهنا يجب التنبيه على أننا لا نتحدث عن فكرة الأدب الرقمي، التي تعاني قصور شديد، بسبب التعامل معها بظاهرة ساذجة؛ حتى صار ما يكتب على الأنترنت من شعر أو سرد هو أدب رقمي، ليس هذا هو مسار الحديث هنا، إنما نبحت عن التأثير الذي يطال الجميع دون استثناء، يطالهم في إدراكهم وفي وجودهم، وفي تمثلهم للأفكار والمعاني والفن والإبداع»¹ وهذا التأثير هو الذي لا يمكن أن يصل الكتاب الطفيليون إليه.

عطفاً على ذلك، تعد الرقابة اللغوية مغيبة عن السرد التفاعلي؛ لأنه لا يفرض ذلك على الكتاب مهما كان مستواهم في التأليف، فينتج عن ذلك أعمال ركيكة لا ترقى إلى مصاف الأدب لكثرة الأخطاء الصرفية والإملائية والنحوية، ناهيك عن عدم التحكم في الصياغة والأسلوب ومركزات السرد الروائي أو المسرحي أو القصصي وغيرهم، بل تصل إلى حد الدردشة الجماعية المكتوبة باللغة العامية.

ولمجاوبة هذا التحدي ارتأى حمزة قريرة دعوة الأدباء الورقيين لاقتحام العالم الرقمي التفاعلي للمحافظة على الذائقة الإبداعية والفنية للأعمال، وعدم ترك المجال للطفيليين الذين سيقتلون أدبية النصوص «الأدب التفاعلي أو الرقمي التفاعلي لا يمكنه أن يكون موجوداً دون الإبداع الرقمي، ولو تركنا المجال مفتوحاً على مصرعيه ولم نقترح نحن الورقيون هذا العالم نعرف جيداً أن العالم الرقمي متسارع ولا

¹ -السفياني عبد الله، الأدب في أفق رقمي، 17/04/2021 مقال رقمي على الرابط:

https://adab.com/post/view_post/74117 تاريخ التصفح: 2024، 6، 5، على الساعة: 11:15 صباحاً.

يرحم؛ بمعنى أن هذا التسارع ربما سنصبح في الأخير نحن من التاريخ ويصبح جيل آخر لم يعود على الإبداع الورقي هو الرائد في الإبداع الرقمي التفاعلي وهنا نطرح مسألة خطيرة جداً أو ربما ندق ناقوس الخطر أنه ستصبح العملية الإبداعية وجماليات النص على المحك¹، بسبب بعض الكتاب الذين لا يفقهون في الإبداع أمراً.

المطلب الرابع: إشكالية جمع الأدب بين السرد والهندسة التقنية الرقمية

الكتابة السردية التفاعلية مرتبطة بمعرفة الأديب التكنولوجية، وهذا ما يفتقر إليه بعض المبدعين الجزائريين؛ لأنهم يمتلكون مهارات التأليف والتخييل والكتابة، وليس لهم تكوين علمي في الثقافة الرقمية ولغة البرامج المعلوماتية، والتقنيات المختلفة والوسائط المتعددة، ويرى محمد أسليم أنه «يجب على الكاتب الرقمي أن يجيد لغة أخرى غير لغة القلم، عليه أن يجيد لغة الحاسوب، وأن يلم ببرامجه من أجل كتابة نص رقمي، ولا يكفي أن يعرف الأديب هذه اللغة، بل عليه أن يتقنها جيداً أيضاً؛ لأن عدم إتقانها يؤدي إلى إخراج نصوص دون المستوى المطلوب»².

إن امتلاك المبدع مهارات الكتابة السردية التفاعلية فحسب، فإن كتاباته تكون متشابهة وبسيطة يستخدم فيها: الفلاشات والفيوتوشوب والسويتش والجاف سكريبت وغيرها من البرامج، فعليه أن يلمّ بالتقنيات الأكثر تركيباً وتنوعاً المستخدمة في الأعمال السردية التفاعلية الغربية مثل: installation pieces codwork generative poem، لتكون أعماله التفاعلية متميزة ومتفردة عن غيرها.

المطلب الخامس: إشكالية القطيعة الدلالية للنص السرد التفاعلي

لا يمكن للنص الأدبي أن يكون نصاً إلا بتوفر جملة من المعايير كالتي حددها (دي بوجراند) وهي: الاتساق، الانسجام، القصديّة، المقامية، القبول، الإفهام، التناص؛ فالانسجام أو التماسك المعنوي معيار أساسي لتحقيق فهم النص «فعندما يمكن للقارئ أن يتحرك بسهولة من جملة إلى أخرى، ويقرأ النص كوحدة واحدة وليس مجموعة من الجمل المنفصلة، فالانسجام هو الكيفية التي تمكن القارئ من إدراك تدفق المعنى الناتج عن تنظيم النص ومعها يصبح النص وحدة اتصالية متجانسة»³.

¹ -بيت اللسانيات، محاضرة الأدب والنشر الرقمي في الأدب العربي الدكتور حمزة قريرة، مرجع سابق، تاريخ التصفح:

2024، 10:00، 5، 10م، على الساعة: 10:00 صباحاً.

² -يونس إيمان، الأدب الرقمي العربي: (الواقع، التحديات، الآفاق)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، العدد 58، 2020م، ص 36.

³ -محمد شبل عزة، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م، ص 184.

والملاحظ لإنتاجات المتفاعلين مقارنة مع النص الأصلي يجد بعضها منسجماً ومكملاً لأفكار الكاتب، بينما هناك من يخرج عن الدلالة النصية فيؤلف نصاً ليس له علاقة بالنص الأول، فتحدث قطيعة دلالية ناتجة عن عدم تدفق معاني النص التي تحقق الوحدة الموضوعية المتجانسة. ويقول سعيد بنكراد: «إن مصدر الطاقة الانفعالية في التمثيل اللساني لا يكمن في تقديم معادلات نصية من خلال روابط هي: في نهاية الأمر وبدايته وثيقة الصلة بقصدية أصلية هي قصدية المؤلف وحدها ولا شيء غيرها، فتلك نسخ محدودة رغم كثرتها وتنوعها، إن مصدرها هو ما لا تقوله هذه القصدية؛ أي ما ينبع من كل الإحالات غير المتوقعة من منطوق النص أو مفهومه، بل قد يكون ما يأتي به القارئ نقيضاً لما توحى به القصة»¹، فالمتفاعلون مع النص قد يخرجونه تماماً إلى معاني ودلالات مختلفة عن قصدية الكاتب، فيخلقون نصوصاً تنافي الفكرة الأساسية لمنجز الأديب.

وفي الأخير، إن انفتاح المجال أمام التعددية التأليفية للنص السرد التفاعلي شكّلت عائقاً أمام نزر من الأدباء والمتلقين المبدعين، الذين رفضوا إشراك الطرف الآخر في إنتاجهم الإبداعي رغم جمالياتها الكثيرة التي لم يفقهوها بسبب حداثة هذا الوليد؛ ولأن المؤلف الأحادي للنص غُيّبت حقوقه المعنوية.

كما ظهر ما يُسمى بالتأليف الجماعي التفاعلي للنص الواحد، الأمر الذي قد يحدث قطيعة بين معاني النص وتختفي معه قصدية الكاتب تماماً ما دفعهم إلى عدم تقبله واكتفوا بالكتابة الورقية، ولم يحاولوا حتى خوض غمار التجربة كونهم مبدعون حقيقيون، فهذا الغياب استغله الكتاب الطفيليون وشغلوا مساحة لهم في السرد التفاعلي، مما أفقد النص جمالياته الفنية والإبداعية بالإضافة إلى أن معظم الأدباء ليس لهم تكوين في تكنولوجيات الإعلام والاتصال، ما ولد لديهم إشكالية في الإبداع السرد التفاعلي.

المبحث الثالث: تحديات المتلقي في ضوء السرد التفاعلي

إنّ المتلقي التفاعلي في السرد التفاعلي يعد مؤلفاً آخرًا للنصوص، فبإمكانه التدخل في الكتابة عبر روابط الهايبرتكتست الإيجابي، فينتج نصاً متعلقاً مع النص الأصلي للأديب الذي يمنحه حرية الإبحار فيه، ويختار بدايات النص ونهاياته مثلما يشاء فيتفاعل أو يعدل أو يضيف باستخدام الوسائط المتعددة، فتصبح سلطته في النص السرد التفاعلي توازي سلطة الأديب أو تفوقها، لكن يشترط فيه ما يشترط على المبدع أن يجمع بين الكتابة الأدبية والهندسة التقنية الرقمية، ولهذا ظهرت عدة تحديات واجهت المتلقي التفاعلي منها:

¹ -بنكراد سعيد، الأدب الرقمي: جماليات مستحيلة، مجلة جرن، السعودية، العدد 01، 2014م، ص 43.

المطلب الأول: الأمية الرقمية الإلكترونية

بعد محاربة الأمية الأبجدية، تواجه الجزائر اليوم -بحكم التطور التكنولوجي العالمي- الأمية الرقمية في معظم الولايات خاصة مناطق الظل، وبما أن التقنيات الحديثة تكاد تنحصر في المدن الكبرى الحضرية التي تشهد -نوعاً ما- انتعاشاً اقتصادياً يمكنها من اقتناء مثل هاته التكنولوجيات، فإن دائرة استخدامها ضيقة ومحدودة جداً بل تكاد تنعدم في البوادي، بالإضافة إلى أن الفئة المتلقية للأدب التفاعلي هم البعض من الشباب بحكم انفتاحهم على عالم الأنترنت والتفاعلات، أما كبار السن فيعانون من التخلف الرقمي؛ لأنهم نظروا إليه على أنه لا يتلاءم مع ثقافتهم غير المبنية على دعائم معلوماتية.

فمعظم الناس ليست لديهم القدرة على استخدام تقنيات الحاسوب واللوحة الرقمية والهاتف وغيرها من الأجهزة الإلكترونية والتواصل مع العوالم الخارجية والداخلية لها، ومع الأنترنت وكيفية بناء الإمكانيات والقدرات لاكتشاف المعلومات المطلوبة وتنظيمها وتقييمها واستخدامها بشكل فعال، وإنتاج مشاريع مبتكرة وتعزيز الجاهزية لخوض تحديات عالم رقمي متزايد وفي تطور مستمر، وهذا الأمر وضع السرد التفاعلي في تحدٍّ أمام تلقيه وشيوعه للعامة.

وقد أكد حمزة قريرة من خلال تجربته التفاعلية أن الوطن العربي مزال متعثراً في استخدام تقنيات الحاسوب بتصريحه: «أما المتلقي العربي العادي فالأمر مازال صعباً؛ بمعنى أنه على استحياء في بعض الأحيان يضع مجموعة من الملاحظات إما في الخاص أوفي التعليقات ولا يمكنه أن يلج للنص الأصلي رغم وجود وصلات في النص الأصلي يمكنه أن يقدم فيها ما يشاء، بل يضيف إلى النص الأصلي»¹.

كما أنّ مشكل الأمية الرقمية لا يتوقف عند العامة، بل يتعداه إلى الجيل الكبير من الكتاب والمبدعين (النخبة) الذين ليس لهم القدرة على التعامل مع برمجيات الكمبيوتر التي تتطلب التنوع الحاسوبي (Diversity Computer)، فترتب عن ذلك فجوة رقمية وأمية في مجال الإبداع السردية التفاعلي، جسدتها مدونة الأدب والفن التفاعلي لحمزة قريرة في قلة المتفاعلين وهو ما يوضحه الجدول الآتي:

الجدول (1): إحصاء المتفاعلين في مدونة الأدب والفن التفاعلي لحمزة قريرة.

الجنس التفاعلي	عنوان النواة	عدد المتفاعلين
----------------	--------------	----------------

¹ -بيت اللسانيات، محاضرة الأدب والنشر الرقمي في الأدب العربي الدكتور -حمزة قريرة، مرجع سابق، تاريخ التصفح:

10،5،2024، على الساعة: 10:00 صباحاً.

الرواية التفاعلية	-الزنزانة رقم 6 -باص الجامعة	-08 متفاعلين -لا متفاعلين
المسرح التفاعلي	-بلا نظارات الحياة أفضل	-01 متفاعل واحد
الفيلم التفاعلي	-حكاية حجر	-لا متفاعلين
الشعر التفاعلي	-الحب يتكلم كل اللغات -رباعيات تفاعلية	-لا متفاعلين -لا متفاعلين
الشعر الشعبي التفاعلي	-لا يوجد منجز	/
أدب الطفل التفاعلي	-العقرب	-01 متفاعل واحد
المقامة التفاعلية	-مقامات الوهن العربي	-لا متفاعلين

المصدر: إعداد الباحثة بالاحتكام إلى مدونة الأدب والفن التفاعلي، قريرة حمزة، مارس 2017م، على الرابط <https://www.litartint.com/>، تاريخ التصفح: 09، 05، 2024م، على الساعة: 08:30 صباحاً.

الملاحظ من خلال هاته المعطيات أن التفاعل مع جل الأنوية التفاعلية يكاد ينعدم رغم أن حمزة قريرة هيّا المدونة ووضع أنوية جانبية لإرشاد المتلقي إلى كيفية القراءة والتفاعل مع الأجناس الأدبية، وهذا الأمر مرده لأسباب هي:

- عدم اضطلاع المتلقي بالهندسة التقنية الرقمية.
- رفض السرد التفاعلي وعدم التعاطي معه، فالإنسان عدو ما يجهل.
- عدم تقبل بعض المتلقين لفكرة التعددية التشاركية في التأليف.

المطلب الثاني: معارضة بعض المتلقين للسرد التفاعلي

السرد التفاعلي وليد العصر، فهو في طور التنظير له والبلورة لمفاهيمه ومعطياته، ولم تفهم أساسياته بعد عند معظم الكتاب والنقاد والقراء المتحيزين للأدب الورقي، ولذلك واجه هجوماً وتصدياً ورفضاً من قبلهم، بحجة أن الوسائط المتعددة تقتل القيمة الفنية للنص السردية وتفقد شغفه فيتخلّى على الكلمة التي تعد العمود الفقري له.

هذا بالإضافة إلى أن الأديب يهتم بالإعداد الفني للنص السردية فيضيف إليه تقنيات النص المتفرع (صورة موسيقى، حركة، صوت...)، مما ينقله من حيز الأدب الذي أنتج للقراءة إلى نطاق الفن الذي

يشاهد ويسمع وكأنه عرض سينمائي بكتابة درامية إخراجية، الأمر الذي استدعى عدم تقبل السرد التفاعلي؛ لأنه صعب تصنيفه أهو أدب أم فن؟.

ويعدّ السرد التفاعلي دخيلاً عند الترائين فهو يهدد نمط الكتابة الموروثة للسرديات ويعكّر العادات القرائية عند المتلقين؛ لأنهم لم يستوعبوا التغييرات الحاصلة على النص في ظل حركية التكنولوجيا، فإنه «لا يعقل أن ندخل عصراً جديداً بأفكار قديمة وبلغة قديمة (...) لقد بدأت علاقتنا بتكنولوجيا الإعلام والتواصل عن طريق استيراد هذه التكنولوجيا وبدأنا نتعامل معها وكأنها، فقط، قطع غيار أو وسائل نعوض بها غيرها، لكننا بمنأى عن استيعاب حركية هذه التكنولوجيا في نمط التفكير والحياة ونتجاوز كونها وسيلة جديدة فلم نفكر فيها بالصورة التي تحدث تحولاً على مستوى تعليمنا وتربيتنا وإنتاجنا الأدبي والفني وثقافتنا والعلوم التي ما نزال لم نعمل على ترسيخها وتجديرها في تربيتنا العربية»¹.

فالسرد التفاعلي تعرض لهجوم رافض له ولجميع خاصياته الفنية الإبداعية أثناء نشأته في العالم العربي؛ لأن المتلقين -خاصة المتعصبين للأدب الورقي- استكروه لأنه يعدّ غريباً عما ألفوه، ولم يتقبلوا فكرة التفاعلية في الأدب.

المطلب الثالث: التفاعل الرقمي اللاأخلاقي

التفاعل الرقمي اللاأخلاقي هو نمط من السلوكيات الرقمية التي تنتهك المعايير الأخلاقية والقيم الاجتماعية المقبولة على الإنترنت وفي العالم الرقمي، يتضمن ذلك مجموعة متنوعة من السلوكيات الضارة مثل: التنمر الإلكتروني، والكذب ونشر الشائعات، وانتهاك الخصوصية الشخصية، والتحرّض على الكراهية، والاحتفال عبر الإنترنت، السباب والشتم بألفاظ نابية، والتعامل بشكل غير محترم مع الآخرين.

فكل هاته الممارسات تؤثر على ذائقة باقي المتلقين كما قد تؤثر على الكاتب؛ لأنها تكسر أفق توقعه سلبياً وتخدش بالعلاقة القائمة بينه وبين باقي القراء، فهو مجبر على تقبل تلك التفاعلات؛ لأن تأليف النص تشاركي تعددي وليس أحادي، بالإضافة إلى التفاعل الإباحي الذي يشير إلى أي نوع من التفاعلات أو المحتوى الذي يتضمن مشاهد أو مواد جنسية أو إباحية يمكن أن يكون هذا التفاعل على شكل أفلام، صور، نصوص، أو أيّ وسائط أخرى لا تتلاءم وأخلاقيات أو ذائقة الكاتب والمتلقي الآخر.

¹-يقطين سعيد، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، مرجع سابق، ص96، 97.

المطلب الرابع: حرية إبحار المتلقي المبتورة في النص السري التفاعلي

تُركت الحرية للمتلقى التفاعلي كونه شريك في العملية الإبداعية السردية؛ أن يختار من أين يبدأ نصه وإلى أين وكيف ينهي، أو حتى المرور من أي نقطة شاء مستخدماً في ذلك تقنيات النص الترابطي فيضيف أو يحذف أو يعدل على النص الأصلي وهذا ما يسمى الهايبرتكست الإيجابي.

في المقابل من بين الإشكالات التي تعترض المتلقى التفاعلي أثناء ذلك أنه لا يسمح له بإضافة روابط أخرى إلى الروابط التي أدرجها الأديب في النص أو التعديل على الرابط نفسه، فتبقى هاته الحرية معلقة تخضع لما يفرضه نسق النص الافتراضي، وهو ما يسمى الهايبرتكست السلبي «الذي يمنح فرصة الولوج إلى نصوص وفق روابط تشعبية داخل النص الأصلي، لكن دون أن يمنحنا فرصة للزيادة أو التعديل في النص الأصلي (...) يبقى النص في أصله لصاحبه الأول دون أن نتمكن بأي حال من الأحوال من الإضافة أو التعديل»¹.

فحمزة قريرة ضمن في إبداعاته مسارات إيجابية تمكن المتلقى التفاعلي من الولوج عبرها وتوظيفها في الإنتاج والزيادة أو التعديل أو الحذف، لكن لا يمكن للمتلقى إنشاء مسار تشعبي على المسار الأول، وينشأ روابط أخرى داخل النواة، وهذا الشكل من مدونة الأدب والفن التفاعلي لحمزة قريرة يوضح ذلك. الشكل (1): مقتطفات إبداعية لحمزة قريرة من مدونة الأدب والفن التفاعلي، توضح المسارات التفاعلية.



المصدر: قريرة حمزة، الأدب والفن التفاعلي، مارس 2017، على الرابط

<https://www.litartint.com/>، تاريخ التصفح: 05.09، 2024م، على الساعة: 08:30 صباحاً.

¹ - بييت اللسانيات، محاضرة الأدب والنشر الرقمي في الأدب العربي الدكتور حمزة قريرة، مرجع سابق، تاريخ التصفح:

10:00، 10.5.2024، على الساعة: 10:00 صباحاً.

تمثل الصورة التي على اليمين مقتطفاً من (رواية الزنزانة رقم 06)، والصورة التي على اليسار مقتطفاً من مسرحية (بلا نظارات الحياة أفضل)، والملاحظ من خلال الصورتين أن الكاتب حمزة قريرة وضع المسار أو الرابط المشار إليه بلون مغاير عن لون النص (أحمر، أزرق) كما هو موضح بالسهم؛ ليتفاعل المتلقي من خلاله مع النص فينشأ نصاً آخر أو يعدل أو يحذف، لكن لا يمكنه إضافة روابط أخرى للنص الأصلي، فالكاتب وجّه مباشرة إلى الرابط أو المسار التفاعلي، وهذا ما يحد من حرية المتلقي التفاعلي في الإبحار في النص السرد التفاعلي، كما لا يسمح له بإنشاء روابط تشعبية أخرى على المسار الأول الذي وضعه الأديب، في حين يمكنه التفاعل وفق هذا المسار.

في الإطار ذاته، فإنّ تعزيز النصوص السردية التفاعلية بوسائط متعددة وتقنيات متنوعة (الصور، الحركة، المشاهد، الأنيميشنز، الجرافيك، الموسيقى، الصوت أو حتى رسم شخصيات القصة) توجه تخیل المتلقي لها فتحدّ من تخيله لأماكن أو صور لشخصيات أخرى، فيصبح هذا التخیل محدوداً بما وضعه المؤلف الأول من وسائط متعددة، ويتضح هذا النوع من الحد في التخیل في بعض الوسائط المستخدمة في تجربة حمزة قريرة مثل إدراج صورتين من رواية (الزنزانة رقم 06)، لشخصية الضاوية ومراد المبرمجتان بالذكاء الاصطناعي.

الشكل (2): بطاقة تعريف لشخصيتين من رواية الزنزانة رقم 06 لحمزة قريرة.



المصدر: قريرة حمزة، الزنزانة رقم 06، الأدب والفن التفاعلي، مارس 2017م، على الرابط <https://www.litartint.com/>، تاريخ التصفح: 09، 05، 2024م، على الساعة: 08:30 صباحاً.

فهاتان الصورتان الموجودتان على بطاقة تعريف لشخصين لا يوجد لهما شبيه من سكان المعمورة، لأن الكاتب تعتمد ذلك¹، لكن إدراجهما في النص السردى كبح جماح التخيل عند المتلقي، الذي أصبح عاجزاً عن رسم صورة ذهنية لهما؛ لأنها موجودة بالفعل عكس السرد الورقي الذي يطلق العنان للتخيل عند المتلقي، فيستطيع كل قارئ أن يتصور ملامحهما بشكل مختلف عن الآخر. وكمثال آخر عن الحد من تخيل المتلقي، قدم قريرة حمزة أنموذجاً أو صورة لبيت مهجور ومهترئ، من رواية الزنزانة رقم 06.

الشكل (3): صورة لبيت مهجور من رواية الزنزانة رقم 06 لحمزة قريرة.



المصدر: قريرة حمزة، الزنزانة رقم 06، الأدب والفن التفاعلي، مارس 2017م، على الرابط <https://www.litartint.com/>، تاريخ التصفح: 09، 05، 2024م، على الساعة: 08:30 صباحاً.

فالكاتب قبل أن يضع صورة للبيت المهجور وصفه وصفاً دقيقاً ينقل المتلقي إلى تخيل هذا المكان، لكن وضع صورة له حدثت من إعمال عقل المتلقي في استحضار صورة ذهنية عنه ومسحت ذلك التخيل.

المطلب الخامس: إشكالات الدراسات النقدية والمقاربة المنهجية للسرد التفاعلي

لم تستطع الدراسات النقدية مواكبة معطيات الأدب التفاعلي عامة والسرد التفاعلي بصفة خاصة، ذلك لأن مفاهيمه التأصيلية التي تصف هذا الوليد الجديد في الأدب وتقنياته الفنية ليس عليها إجماع بين

¹ - ينظر، خمقاني أحمد فايزة، الجزء الثاني من محاضرة الدكتور حمزة قريرة حول الأدب التفاعلي. رواية الزنزانة رقم 6. قصة العقرب، 11، 02، 2020م، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=ww4Dkw8BL8A&t=0s>، تاريخ التصفح: 28، 07، 2024م، على الساعة 20:00 مساءً.

المفكرين العرب وهذا ما يفسر عدم وضوح الرؤية النقدية لمعظم قضاياها منها: ما المصطلحات والمفاهيم المحددة لهذا الجنس الأدبي الحديث؟ من مؤلف النص التفاعلي؟ كيف تتعالق القراءات والتأويلات؟ ما الشروط التي يجب أن تتوفر في ناقد السرد التفاعلي؟ هل يجب على الناقد أن يجمع معرفياً بين السرد والهندسة التقنية الحديثة أم تستدعي دراسة السرد التفاعلي تعاوناً بين النقاد والمهندسين التقنيين؟ فكل هاته القضايا مازالت تشغل الدراسات النقدية وعجزت أدواتها عن فك شيفراتها.

هذا بالإضافة إلى الاختلاف الخلاق بين النقاد في تحديد أي المقاربات النقدية الأنجع في تحليل ودراسة مثل هذا المنتج التفاعلي فإن «النقد ينشأ على الأعمال التي يتناولها، ومادامت هذه الأعمال قليلة، ومحصورة في نفر من المبدعين، ستبقى إمكانية تشكيل هذه النظرية قاصرة عن الوصول إلى مستوى الإقناع، وستبقى انتقائية، ونفتقر للعمق، ولكن هذا لا يفضي، بأي شكل من الأشكال، إلى انتظار الناقد أن تتكاثر الأعمال التفاعلية حتى يبدأ بتناول هذه الأعمال، بل التوقف في أثناء تحليلها عن طرح فكرة الوصول إلى نظرية»¹.

وعطفاً على ذلك يرى السيد نجم أن آلية قراءة النص التفاعلي تكون (بالنقد الرقمي) من خلال ثلاثة مظاهر: (النقد التنظيري، النقد التطبيقي، النقد التاريخي والمستقبلي)، أما أحمد فضل شبلول فيذهب إلى أن (النقد الإلكتروني) الأنسب لمقاربة النصوص ويتم ذلك بوساطة الناقد الإلكتروني، الذي يعتمد الآلة بدل الإنسان، وجميل حمداوي ينحو إلى (المقاربة الوضائية) التي لا تحكم على النص التفاعلي بالجودة إلا إذا توفرت فيه الوظيفة الأدبية والوظيفة الرقمية بالإضافة إلى المعيار التقني والسميوطيقي والتفاعلي. في حين أدرك أمجد حميد التميمي أنه لا يمكن تطبيق الآليات التقليدية على الأدب التفاعلي فاقترح مقاربتة (النقد الثقافي التفاعلي)، أما إحسان التميمي فقدم تجربة (النقد التجريبي) التي تهتم بالمتلقي وقد ربطها بالمرسح التفاعلي، واختار إبراهيم ملحم مصطلح (النقد التفاعلي المقارن) لمقاربة تعتمد على المقارنة بين الأعمال التفاعلية العربية والغربية، واتجهت زهور كرام نحو (تحليل أدبي رقمي للنص المترابط التخيلي العربي) أين يدرس النص الرقمي وخصائصه التي تتضمن بنيته وحدوده ووظيفته السردية وغيرها، أما لبيبة خمار فقدّمت مقاربة تحلل النص الرقمي لتصل إلى النتائج دون الاهتمام بالتعدد الاصطلاحي، كما دعت بهيجة مصري أدلبي إلى قراءة النص الجديد بالوقوف عند (المناصات التفاعلية) المناص الصامت والمناص التفاعلي.

¹-ملحم أحمد إبراهيم، الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعلي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، 2013م، ص67.

وإذا انتقلنا إلى الساحة النقدية الجزائرية فإننا نجد أن (نواره لحرش) جمعت بعض الآراء النقدية في استطلاع أجرته معهم، الذي أظهر اختلافاً وتعددية في المقاربة النقدية والمنهجية للنص الجديد، ويذهب قلولي بن ساعد إلى أن مفهوم النص الجديد غير دقيق وأن الناقد الرقمي لم يتأسس بعد، أما عبد الحفيظ بن جلوي يصل إلى أن النص الإلكتروني لا يحتاج بالضرورة إلى نقد إلكتروني؛ لأن القراءة النقدية الإلكترونية مماثلة للقراءة النقدية العادية سوى أنها تميزت برقميتها.

أما زبيدة بوغواص رأت بأنه لا يمكن أن يقدم النقد الإلكتروني قراءة واعية وقصدية تعتمد التحري والتحقيق لبيان الأثر الجمالي وإنما يحفظ التميز للأعمال التفاعلية عن طريق النقد الحقيقي، وتتجه منى صريفق إلى أن النقد التفاعلي هو امتداد للنقد الأدبي وإن تغيرت الوسائل، وما يراه عبد الحميد ختالة هو أن الدرس النقدي لم يتأقلم مع الرقمي فالناقد لا يقرأ الأدب إلا داخل دوائر النقد التقليدي، مستخدماً إجراءات المناهج التقليدية المألوفة التي تحاول إخضاع النص الأدبي لسلطانها.

أما (حمزة قريرة) فيدعو إلى «التركيز على آليات بناء النص/الخطاب في ظل التقنيات الرقمية وآليات تركيبها وإخراجها وكل هذا سيجعلنا نتجاوز مرحلة التأسيس المصطلحي وصراع الترجمات والمفاهيم حول الأدب التفاعلي»¹، فالتطبيق والممارسة والتجريب في مجال الإنتاج التفاعلي الرقمي يحقق تجاوز التحديات التي تقف أمام الأدب التفاعلي.

من خلال التباين الحاصل في قضايا الأدب التفاعلي عامة والسرد التفاعلي خاصة وأي المقاربات النقدية الأقرب لتحليله ودراسته، نجد أن الناقد العربي عموماً يواجه العديد من التحديات التي فرضت عليه، ولم يُفصل في أي المقاربات أنجع لممارستها على النص التفاعلي الرقمي، فمنهم من توجه إلى المناهج التقليدية التي اعتُمدت في مقارنة النص الورقي (كالتصنيفات، التاريخية، البنيوية، ونظرية التلقي...) واعتمدها في مقارنة النص التفاعلي، في حين أن هناك مجموعة أخرى من النقاد حاولت أن تؤسس لمناهج نقدية جديدة تسير طبيعة الأدب التفاعلي عامة والسرد التفاعلي خاصة (كالنقد الرقمي، النقد التجريبي، المقاربة الواسطية/ الميديولوجية)، بينما اتجه النقاد الآخرون إلى موقف التريث إلى أن تظهر معالم هذا الأدب؛ لأنه ما يزال بكرة ومنهم: حمزة قريرة.

واجه المتلقي (المتفاعل أو القارئ أو الناقد) العديد من التحديات كالأمية الرقمية أو التعرض لمحتوى تفاعلي غير أخلاقي أو بتر لحيثه في الإبحار داخل النص من طرف الأديب؛ الذي يستخدم الهايبرنكست السلبي، كما أن النقاد والدارسين اختلفوا في التنظير للأدب التفاعلي بمختلف أجناسه

¹ -قريرة حمزة، تجارب في الإبداع والخلق التفاعلي، المجلة العربية، الرياض، السعودية، العدد 518، 2019م، ص41، 40.

وأنماطه وخاصة السردية منها، وانعكس ذلك على الجانب الإجرائي التطبيقي للمقاربات والمناهج النسقية والسياقية على النص التفاعلي، وهذا ما أسفر إلى ظهور لفيف من النقاد المجددين تخلوا عن هاته المناهج النقدية الكلاسيكية، محاولين استحداث مناهج تناسب هذا النمط من الكتابة الإبداعية الجديدة.

المبحث الرابع: عوائق تقنية وبرمجية للسرد التفاعلي

البرمجة هي عملية كتابة أوامر وتعليمات يطلب من الحاسوب تطبيقها من خلال مجموعة من الخوارزميات تكون مكتوبة على شكل (code)، عبر سلسلة من الأرقام لا يَلجُها إلا الصفر والواحد؛ لأن الجهاز يفهم حالتين فقط: وجود التيار (1) وعدم وجوده (0)، مستخدما في ذلك اللغات البرمجية المتنوعة (c, c+, JavaScript, Java, HTML).

أما التقنية فهي الوسائل والتطبيقات التي تعتمد على المنطق الرقمي في نقل المعطيات داخل الحاسوب وسبل العمل والعمليات، التي تطبق على مختلف العلوم والفنون.

لكن كل هاته العمليات الدقيقة على مستوى الجهاز وقدرتها على نقل العلوم والفنون بصورة متجددة وعصرية خاصة في مجال السرد التفاعلي، فإنها لا تنفي وجود بعض الإشكالات التي تواجه هاته البرمجيات والتقنيات، نذكر منها:

المطلب الأول: القرصنة الرقمية

بظهور النشر الإلكتروني ظهرت معه القرصنة الرقمية، وذلك باختراق أجهزة الحاسوب عبر شبكة الأنترنت، من طرف شخص أو مجموعة أشخاص لديهم خبرة كبيرة في برامج وتقنيات الأجهزة الإلكترونية والوصول إلى المواد المحمية بحقوق الطبع والنشر والتوزيع دون تصريح مالكيها الأصليين، وهذا ما عرض السرد التفاعلي (للتهكير) لأغراض عديدة منها: سلب مجهودات الأديب بسهولة ونسبها لشخص آخر أو حتى إزالة رابط النص التفاعلي أو سحب مبالغ اشتراكات المتلقين وغيرها، فشكّلت القرصنة الرقمية تحدٍ للأدباء، وهذا التخوف وضعهم في تحد آخر وهو الاستعانة بمهندسين تقنيين أو تعلم البرمجة الرقمية، وإلا لن يخوضوا غمار هذه التجربة الأدبية.

وواجه حمزة قريرة مثل هذا الإشكال حيث قام بإعداد موقع (ويب) الذي يدمج الوسائط المتعددة مع النص، ثم انطلق من برنامج الفرونت بيج (Microsoft Office Frontpage) وهو تطبيق برمجي للتحليل بلغة (HTML) ونشر فيه روايته (الزنانة رقم 06) التفاعلية، لكن هذه المحاولة فشلت نتيجة

عملية القرصنة لموقعه، ثم أعاد إنشاء مدونة باسم (الأدب والفن التفاعلي) من خلال الرابط بلوجر (Blogger) من إنتاج جوجل (Google)¹.

المطلب الثاني: نقص ذكاء الآلة العاطفي

التقنيات التفاعلية مصنوعة بالذكاء الاصطناعي فهي آلية مادية لا تصل إلى ترجمة عاطفة ومشاعر الكاتب بدقة؛ «ويكاد يجزم أغلب النقاد، على أن هذا الحاسوب، أو هذا العالم الافتراضي من الألياف الزجاجية سيظل حتى في المستقبل المنظور مهما شُحذ ذكاؤه وُجمعت تلك المؤثرات التي ينتجها دون مستوى أداء تلك المهمة التي أدتها قريحة عنتره بالكلمة وحدها محملة بالمحتويات الثقافية والدلالات الشعورية النابضة»²، فمتلقي النصوص السردية حتى وإن تفاعل معها فإنه لا يمس بدقة عاطفة الكاتب؛ لأنها مجزوءة ومبتورة ليتدخل القارئ في بنائها وصياغتها.

لهذا فإن تحميل الأديب لكل ما يعتره من عواطف للآلة شبه مستحيل، كما أنها تبقى عاجزة عن نقل تلك المشاعر للمتلقي فالبرامج والتقنيات الحديثة مهما بلغت من تطورات وإضافات تخدم الأدب، إلا أنها تبقى عاجزة أمام عاطفة البشر.

المطلب الثالث: افتقار المنصات والمدونات التفاعلية لبرامج كشف السرقات العلمية

أسهمت الأنترنت بشكل واسع في السرقات العلمية، لكنها في الوقت نفسه منحت فرصة الكشف عنها بشكل أوسع، كما تصدت معظم الدول لهاته الظاهرة المستقلة، فالجزائر سنتت (قانون 933)، الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها³، لكن النصوص القانونية والتوعية الأخلاقية غير كافيين، حيث صار لزاماً على المبدع أن يضع آليات رقمية على مستوى إنجازاته لمواجهة السرقات وكشف كل أشكال الانتحال، ليحقق مبدأ تكافؤ آليات المواجهة، فيقوم بإدراج جملة من التدابير التكنولوجية والبرامج المتنوعة مثل :

Plag Aware, Plagiarism, Detection.org, Turnitin, Check for Plagiarism, ithenticate

¹ -ينظر، خمقاني أحمد فايزة، د. حمزة قريرة يعرض تجربته في الأدب التفاعلي. مسرحية بلا نظارات الحياة أفضل. الجزء الأول، 11، 02، 2020م، على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=NBvmXbCQNwY> تاريخ التصفح: 28/07/2024م، على الساعة 14:30 مساءً.

² -يخلف فايزة، مسالك خطاب الصورة المؤلف والمختلف، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 2021م، ص47.

³ -ينظر: المادة 03، من القرار 933، المؤرخ في 28 جويلية 2016، المتضمن القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جويلية 2016م.

فحمزة قريرة بعدما اشترى نطاق خاص به من (Blogger) قام بالاشتغال عليه وأدخل عليه برمجيات لكي يشبه البرنامج، ووضع رمز (كود) لتحافظ مدونة الأدب والفن التفاعلي على نفس الشكل الخارجي لها¹، وضمّنها آليات وبرامج لحماية أعماله الإبداعية من السرقة الفكرية.

المطلب الرابع: التعرض لغلق المنصات أو المدونة لانتهاكها بنود الخدمة الرقمية العالمية

تفرض الاتفاقيات العالمية لقواعد الاستعمال الرقمي التفاعلي عدة شروط قانونية على جميع المستخدمين لحماية حقوقها المادية والفكرية وتجنب القرصنة الرقمية، فالمؤلف الرقمي حبيس ما تفرضه عليه هاتاه القوانين؛ لأنه يجب أن يلتزم بها، وفي حال انتهاكه وخرقه لبنود الخصوصية والسياسة العامة لخدمة مختلف التطبيقات والبرامج والروابط سيعرض إنتاجه للإزالة الرقمية أو المساءلة القانونية. وفي الأخير تبقى الآلة عاجزة أمام العقل البشري الذي استطاع اختراقها وقرصنة مواقعها لافتقارها لبرامج خاصة تكشف الفيروسات والسرقات العلمية، أو أنها تتعرض للغلق لنقضها بنود من بنود الخدمة العالمية، هذا بالإضافة إلى عجزها في نقل عواطف المبدع.

الخاتمة:

يعدّ السرد التفاعلي مجالا خصبا وحديثا في الوطن العربي وبالأخص في الجزائر، فهو لا يزال بحاجة إلى الدراسة وضبط مفاهيمه النظرية، وهذا يستدعي من المفكرين والمبدعين الجزائريين أن يشاركوا في النهوض بهذا الوافد الجديد على الأدب (تأصيلا وإبداعا)، وبعد الدراسة والبحث في أهم إشكالاته وتحدياته التي حدّت من نسبة تقدمه في عالمنا العربي، فإنه تم التوصل إلى جملة من النتائج لعل أهمها ما يأتي ذكره:

1- رغم الفوضى الاصطلاحية والمفاهيمية التي ظهرت مع ولادة الأدب التفاعلي إلا أنه يمكن الاتفاق على أنه الأدب الذي يعتمد على التكنولوجيا، كما يمكن تصنيفه إلى قسمين أساسيين: الأدب الرقمي الذي هو كل إبداع يعتمد على الآلة إنتاجا وتلقيا دون وجود مساحة للمتلقّي ليتفاعل معه، وأدب تفاعلي وهو كل عمل يرتكز على الوسيط الرقمي والتفاعل من طرف المتلقّي مع هذا الإنتاج فيصبح مؤلفا آخر للنص.

¹ - ينظر، خمقاني أحمد فايزة، د. حمزة قريرة يعرض تجربته في الأدب التفاعلي. مسرحية بلا نظارات الحياة أفضل، مرجع سابق، تاريخ التصفح: 28، 07، 2024م، على الساعة 14:30 مساء.

2-توجه معظم المبدعين إلى العزوف عن السرد التفاعلي، لأسباب منها رفضهم للتعددية التشاركية للنص الواحد، وضياح حقوقهم الفكرية، وأميتهم بالهندسة التقنية للوسائط الرقمية، وتخوفهم من خروج النص السري عن دلالته الأصلية.

3-استغلال بعض الكتاب الطفيليين للسرد التفاعلي، الذين يجهلون أساسيات الكتابة الإبداعية لكنهم متفوقون في التحكم في الهندسة التقنية جعلت من الذائقة الأدبية محل خطر، وجب النظر فيه.

4-رغم أن السرد التفاعلي منح الفرصة أمام المتلقي للإبحار فيه إلا أن بعض الروابط المتعددة قيدته.

5-بفعل الأمية الرقمية التي يعاني منها معظم المتلقين الجزائريين، ومعارضة النقاد لهذا النوع الأدبي، وتصنيفهم له بأنه فن وليس أدبا، حدث تعثر كبير ورفض له رغم جهود بعض المفكرين في نشره وتوضيحه للعامة أمثال حمزة قريرة.

6-اختلف النقاد في أي المناهج النقدية أنجع في دراسة السرد التفاعلي بين محافظ على المقاربات الكلاسيكية وبين مجدد بما يتناسب والطبيعة الرقمية التفاعلية لهذا الأدب وبين من يدعو إلى التريث إلى حين ارتفاع نسبة الأعمال السردية التفاعلية في الجزائر.

7-المشاكل التقنية والبرمجية التي تعترض السرد التفاعلي أثرت في عدم إقبال المتلقين والمبدعين عليه تقاديا منهم للقرصنة الرقمية.

8-يعدّ حمزة قريرة رائد الأدب التفاعلي بصفة عامة والسرد التفاعلي بصفة خاصة في الجزائر، واستطاع أن يرسم بمدونته أدبا وفنا تفاعليا يرقى إلى العالمية.

ومن جملة النتائج المتوصل إليها تمخضت عنها مجموعة توصيات يمكن أن تدفع بعجلة الأدب التفاعلي عامة والسرد التفاعلي خاصة نحو الازدهار وبالتحديد في الجزائر للالتحاق بالركب في العالم الغربي فيما يخص هذا المجال ومنها الآتي:

1-يجب على الهيئات المعنية الجزائرية (جامعات، معاهد) أن تسعى جاهدة لتضمين الأدب التفاعلي في مناهجها الدراسية، لمسايرة التطور التكنولوجي الحاصل على مستوى كل الفنون والعلوم في العالم.

2-بات من الضروري أن يكون الأديب والمتلقي نفسيهما تكنولوجيا والاعتماد كلية على قدراتهما الإبداعية والرقمية لإنتاج عمل متكامل.

3-لابد على المفكرين المهتمين بالسرد التفاعلي في الجزائر أن يتجاوزوا مرحلة التنظير إلى مرحلة الدراسة والتطبيق عليه.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: النصوص القانونية

-المادة 03، من القرار 933، المؤرخ في 28 جويلية 2016، المتضمن القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جويلية 2016م.

ثانياً: الكتب

1. البريكي فاطمة، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغربية، المغرب، 2006م.

2. حمداوي جميل، الأدب الرقمي بين النظرية والتطبيق (نحو المقاربة الوسائطية-المستوى النظري)، ط01، الألوكة، 2016م.

3. يقطين سعيد، النص المترابط ومستقبل الثقافة العربية، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2008م.

4. يخلف فايزة، مسالك خطاب الصورة المؤتلف والمختلف، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، عمان، الأردن، 08، 01، 2021م.

5. محمد شبل عزة، علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط2، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م.

6. ملحم إبراهيم أحمد، الأدب والتقنية مدخل إلى النقد التفاعلي، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد الأردن، 2013م.

7. شبلول أحمد فضل، أدباء الأنترنت، أدباء المستقبل، ط2، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1999م.

ثالثاً: المقالات

1. بوتز فيليب وآخرون، ما الأدب الرقمي، ترجمة: أسليم محمد، مجلة علامات، المغرب، العدد35، 2011م.

2. بنكراد سعيد، الأدب الرقمي: جماليات مستحيلة، مجلة جرن، السعودية، العدد 01، 2014م.
3. يونس إيمان، الأدب الرقمي العربي: (الواقع، التحديات، الآفاق)، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، مركز جيل البحث العلمي، الجزائر، العدد 58، 2020م.
4. قريرة حمزة، تجارب في الإبداع والخلق التفاعلي، المجلة العربية، الرياض، السعودية، العدد 518، 2019م.

رابعاً: المواقع الإلكترونية

1. بيت اللسانيات، محاضرة الأدب والنشر الرقمي في الأدب العربي الدكتور -حمزة قريرة، بيت اللسانيات، 2024 / 04/20، على اليوتيوب عبر الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=ybVUMklhZLQ&t=132s>
2. السفياني عبد الله، الأدب في أفق رقمي، 2021/04/17 مقال رقمي على الرابط:
https://www.adab.com/post/view_post/74117
3. خمقاني أحمد فايزة، د. حمزة قريرة يعرض تجربته في الأدب التفاعلي. مسرحية بلا نظارات الحياة أفضل. الجزء الأول، 2020/02/11، على الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=NBvmXbCQNwY>
4. خمقاني أحمد فايزة، الجزء الثاني من محاضرة الدكتور حمزة قريرة حول الأدب التفاعلي. رواية الزنزانة رقم 6. قصة العقب، 11، 02، 2020م، على الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=ww4Dkw8BL8A&t=0s>
5. قريرة حمزة، ما هو الأدب التفاعلي؟ (الأدب التفاعلي المفهوم والأجناس)، مدونة الأدب والفن التفاعلي، مارس 2017م، على الرابط: <https://www.litartint.com/>